كتاب

الأشباه والنظائر للخالديَّين

ربما التبس الأمر على الباحثين فتكلموا عن « حماسة الخالديَّين » وهم انما يعنون « كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين » للأخوين المؤلِّفَين [1] ولا أدلّ على رفع هذا اللبس مما جاء في ختام الكتاب الأخير ، الذي هو موضوع مقالنا هذا [2] ونصه كما يلي :

« قد اخترنا في هذا الكتاب من أشعار العرب وبديع معانيهم وطريف استعاراتهم وتشبيهاتهم ما وقع في جملة من الورق كثيرة وضمته عدة أجزاء . . . . . وفيما ذكرنا من ذلك مقنع وبلاغ ودلالة على فضل المتقدمين وجميع ما أتيناه [أثبتناه] فاختيار من أشعارهم المشهورة والمجهولة وما لنا الاّ الجمع والتأليف . . . . . والغرض الذي ذكرناه وأردناه من البينة [التنبيه] على محاسنهم فقد بلغناه ، والآن نبدأ بعون الله وحسن توفيقه في اختيار اشعار المحدثين وغريب معانيهم وحسن استعاراتهم بعد هذا الكتاب ليشتمل الكتابان على الفنَّين من الشعر القديم والمحدث ونرجو ان يقع هذا الكتاب الآخر موقع الكتاب الأول من قلب من صنفناه من أجله أبده الله ان شاء الله تعالى » المغربية (رقم ١٧٠٩ أدب) بدار الكتب المصرية ، وما بين المعقفين من نسخة اخرى (٣٧ ه أدب) بالدار أيضاً .

ولا يخفى ان « اختيار اشعار المحدثين » هو الذي ذُكر باسم « حماسة شعر المحدثين »

---

(١) كذلك فعل بروكلمن ١/١٤٧ .

(٢) تقدم هذا المقال وفاء بالوعد الذي قطعناه علينا في المقال السابق « الخالديان » مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٢٥ الجزء الأول) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عند ابن النديم ١٦٩ والصفدي (الوافي بالوفيات رقم ١٢١٩ أدب بالدار ، ترجمة سعيد بن هاشم) أما الكتاب الذي نحن بصدد الكلام عنه فلم يعرف الا باسم « الأشباه والنظائر » كما عند الصفدي او « أشباه الخالديين » كما في الحماسة البصرية (انظر المقدمة ، نسخة الدار رقم ٥٢٠ أدب) .

أما موضوع كتاب الأشباه والنظائر فيقول عنه الخالديان في المقدمة ما يلي :

« وبعد فسح الله لنا في مدتك ، ووفقنا لما نؤثره من خدمتك فانا رأيناك بأشعار المحدثين كلفا ، ومن القدماء والمخضرمين مخرفا » .

وهذان الشريحان هما اللذان فتحا للمحدثين باب المعاني فدخلوه ، وأنهجا لهم طرق الابداع (للآتي) [1] فسلكوه ، أما سمعت ، زاد الله قدرك علواً ورفعة وسمواً ، قول الشاعر ؟ [2] :

فلو قبل مبكاها بكيتُ صبابةً اليها [3] شفيت النفس قبل التندمِ
ولكن بكت قبلي فهيّج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدّمِ

ومن أمثالهم السائرة : ما ترك الأول للآخر شيئاً ، إلاّ ان ابا تمام لم يرض بهذا المثل حتى قال يصف قصيدة له [4] :

---

(١) زيادة في النسخة رقم ٥٨٧ أدب بالدار والكلمة في الأصل « للمعاني » .

(٢) هو ابن الرقاع يذكر حمامة والضمير في « مبكاها » يرجع إلى « ورقاء » كذا في الكامل ٥٠٤ والبصرية ١٦٧ .

(٣) بدله بالهامش « بسعدى » كما في الكامل — وفي رواية « بليلى » — وفي شرح الحماسة ٥٦٧ (بلبنى) .

(٤) الديوان ١٢٨ . قارن ما أورده صاحب المثل السائر ٢٠٩ — « وأما الضرب الآخر من المعاني وهو الذي يحتذى فيه على مثال سابق ومنهج مطروق فذلك جلّ ما يستعمله أرباب هذه الصناعة ولذلك قال عنترة « هل غادر الشعراء من متردّم » الا انه لا ينبغي ان يرضخ هذا القول في الأذهان لئلا يؤيس من الترقي الى درجة الاختراع بل يموّل على قول المطمع في ذلك وهو قول أبي تمام البيتان وعلى الحقيقة فان في زوايا الأفكار خبايا وفي أبكار الخواطر سبايا لكن قد تقاصرت الهمم ونكصت العزائم وصار فصارى الآخر ان يتبع الأول وليته تبعه ولم يقصر عنه تقصيراً فاحشاً » . انظر ايضاً العمدة ٥٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا زلت من شكري في حلّة لابسُها ذو سلب فاخر

يقول من تقرَعُ أسماعَه : كم ترك الأول للآخر

ومن المعنى الأول قول عنترة : «هل غادر الشعراء من متردم ؟» أي ما تركوا كلاماً لمتكلّم ، فاذا كان عنترة ـ وهو في الجاهلية الجهلاء ، وامام الفصاحة الفصحاء ـ ، يقول مثل هذا القول فما ظنك بهذا العصر وقبله بمائتي سنة ؟ فلسنا بقولنا هذا ، أيّدك الله ، نطعن على المحدثين ولا نبخسهم تجويدهم ونلطف تدقيقهم وطريف معانيهم واصابة تشبيههم وصحة استعاراتهم الاّ انّا نعلم انّ الأوائل من الشعراء رسموا رسوماً تبعها من بعدهم ، وعوّل عليها من فقا أثرهم ، وقلّ شعرٌ من أشعارهم يخلو من معانٍ صحيحة ، والفاظ فصيحة ، وتشبيهات مُصيبة ، واستعارات عجيبة ، ونحن — أطال الله في العزّ بقاءك ، وكبت بالذلّ أعداءك — نُضَمِّنُ رسالتنا هذه مختار ما وقع الينا من أشعار الجاهلية ومن تبعهم من المخضرمين ، ونجتنبُ أشعار المشاهير لكثرتها في أيدي الناس فلا نذكر منها الاّ الشيء اليسير ، ولا نُخليها من غرر ما رُوِيناه للمحدثين ، ونذكر أشياء من النظائر اذا وردت ، والاجازات اذا عنّتْ ، ونتكلم على المعاني المخترعة والمتبعة ، ولا نجمع نظائر البيت في مكان واحد ، ولا المعنى المسروق في موضع ، بل نجعل ذلك في موضع ذكره . . . . . »

فالكتاب إذاً وليد ذلك النزاع بين التعصب للقديم والتحمس للمحدث ، الذي نشأ منذ « مائتي سنة » قبل تأليف الكتاب ، كما يقول الخالديّان والذي اشتد أواره في عهد أبي تمّام والبحتري (القرن الثالث بالاجمال) حتى بلغ ذروته في عصر المتنبي وقد جمعه هو الأخير والخالديين رحاب سيف الدولة في الربع الثاني من القرن الرابع الهجري [راجع مقالنا السابق « الخالديان »] . فهل من شك انّ هذا الكتاب انْ هو الاّ صدى حقيق للاتجاه الأدبي المعاصر ؟

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهل بنكر ما كان لذلك النزاع من الفضل الكبير في إبراز مقاييس النقد الأدبي ؟ فان النقد لم يزل عند العرب استحساناً ذاتياً وتذوقاً شخصياً بدون أيّ تعليل أو بسط دليل الاّ في القليل النادر حتى اضطروا بدافع الانتصار لميولهم إزاء مذاهب معينة ادبية وفنية إلى الافصاح عن بعض الموازين التي صدروا عنها والقواعد التي بنوا عليها احكامهم في المفاضلة بين شاعرين او اكثر من عهد واحد أو عهدين مختلفين من حيث المجموع .

وهنا لا بد من الاشارة الى انّ الشعر العربي نشأ ومعانيه محدّدة ومآتيه مقررة ، وكلما تقدم به الزمن أصبحت تلك المعاني ـ وكذلك الحال مع الديباجة والشكل ـ بمنزلة الجداول من حجر ولو كان الحجر مرمراً يزيد الماء صفاء ويروق عين الناظر ، غير انه لم يكن لطبع الشاعر ، مهما كان قوياً وثابا ، الاّ ان يجريَ بين عبرَيها . ومن الحقيقة الثابتة ايضاً انه على الرغم من استنكار « صفة الطلول » والسخرية بـ « بلاغة القدم » التي عبّر بها ابو نواس عن سخط كثيرين امثاله بدون ان يجترئ هو او احد غيره على التخلص فعلاً مما كان يشكو منه ـ على الرغم من ذلك فان الذوق العربي العام لم يستسغ أبداً الاّ ما جاء على رسم الأوائل ، وكانت النتيجة انّ المحدثين من الشعراء وجدوا أنفسهم في حرج وضيق مجالٍ ربما لا يتأتى لنا ان نصوّره أحسن مما صوّره القاضي الجرجاني حيث يقول :

ولو أنصف (اي رياش القيسيّ ، المعروف بالتحامل على المتأخرين) أصحابَنا هؤلاء (المحدثين) لوجد يسيرهم أحق بالاستكثار ، وصغيرهم أولى بالاكبار ، لأنّ احدهم يقف محصوراً بين لفظ قد ضيق مجاله ، وحذف اكثره ، وقلّ عدده وخطر معظمه ، ومعان قد أخذ عفوها ، وسبق الى جيدها ، فأفكاره تنبث في كل وجه ، وخواطره تستفتح كل باب ، فان وافق بعض ما قيل او اجتاز منه بأبعد طرف ، قيل سرق بيت فلان وأغار على قول فلان ولعل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ذلك البيت لم يقرع قط سمعه ، ولا مرّ بخلده ، كأنّ التوارد عندهم ممتنع ، واتفاق الهواجس غير ممكن ، وان افترع معنى بكراً ، او افتتح طريقاً مبهماً ، لم يُرض منه إلاّ باعذب لفظ وأقربه من القلب وألذّه في السمع ، فان دعاه حبّ الاغراب وشهوة التنوق الى تزيين شعره وتحسين كلامه فوشحه بشيء من البديع وحلاه ببعض الاستعارة ، قيل هذا ظاهر التكلف ؛ بيّن التعسف ، ناشف الماء ، قليل الرونق ، وان قال ما سمحت به النفس ورضي به الهاجس قيل لفظ فارغ وكلام غسيل ، فاحسانه يتأول ، وعيوبه تمحل ، وزلته تتضاعف ، وعذره يكذّب ....» [الوساطة — صيدا ، ١٣٣١ هـ — ص ٤٨ — ٤٩] .

ثم يقول ايضاً : «ومتى انصفت علمت ان اهل عصرنا ثم العصر الذي بعدنا أقرب فيه (السرق) الى المعذرة ، وأبعد من المذمة ، لأن من تقدمنا قد استغرق المعاني وسبق اليها وأتى على معظمها ، وانما يحصل على بقايا اما ان تكون تركت رغبة عنها ، واستهانة بها ، او لبعد مطلبها واعتياص مرامها ، وتعذر الوصول اليها ، ومتى أجهد أحدنا نفسه ، وأعمل فكره ، وأتعب خاطره وذهنه ، في تحصيل معنى يظنه غريباً مبتدعاً ، ونظم بيت يحسبه فرداً مخترعاً ، ثم تصفح عنه الدواوين لم يحظ ان يجده بعينه ، او يجد له مثالاً يفض من حسنه ...» الوساطة ١٦٧ .

على كل حال فالظروف التي مضى الالماع اليها هي التي اضطرت الشعراء في العهود المختلفة الى معاودة معانٍ بعينها وتناولها في قوالب متقاربة او على الاكثر متميزة بنقص او زيادة او تحسين في الصياغة واللفظ ، وبالتالي أصبح من الطبيعي ، نظراً الى هذه الظاهرة الأصيلة في الذوق العربي ، ان يتجه النقاد الى البحث عن الأخذ او السرقة ولذلك نرى ، ولا غرو فيه ، انّ المعنيّين بالشعر تنبهوا الى هذه الناحية منذ البدء كما يتجلى ذلك في أقوال أوائلهم المبعثرة في مجاميع الأدب حتى اذا جاء أوان التدوين والتهذيب والأخذ بالطرق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العلمية ، بدأ المؤلفون يطيلون الكلام عن المعاني التي سبق اليها الشعراء كما فعل احمد بن ابي طاهر طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ في كتابه المنثور والمنظوم (دار الكتب المصرية رقم ٥٨١ أدب) . ولم تلبث «السرقات» أن أصبحت الشغل الشاغل لأنصار القديم والحديث حينما حمي وطيس الخلاف بين الفريقين منذ ايام البحتري وابي تمام الى عهد المتنبي كما سبقت الاشارة اليه ، فظهرت فصول بل كتب مستقلة تترى عن سرقات هؤلاء الثلاثة هم وغيرهم كأبي نواس[1] .

وجملة القول ان السرقة ـ وأعني بها معالجة اللاحقين للمعاني التي تناولها السابقون من الشعراء — كانت ناحية من نواحي النقد وباباً من أبواب العلم بالشعر والأدب نال في اللغة العربية من الأهمية ما لم تكن له في كثير من لغات العالم .

وكتابنا يتعلق بهذا الموضوع بالذات فان الغرض المقصود منه هو إبراز فضل السبق الى المعاني الشعرية للمتقدمين والمخضرمين[2] وذلك بعقد المقارنة بينهم وبين المحدثين عن طريق التتبع وايراد الأشباه والنظائر للمعاني المختلفة من كلام هؤلاء وهؤلاء . ولا يخفى انّ الطريقة القويمة المعقولة ، والتي تتفق وطبيعة سير الشعر العربي بالأخص ، للمقارنة بين شاعرين أو فئتين من الشعراء هي الرجوع الى ما جادت به قرائحهما معنى معنى لا قصيدة قصيدة وقافية وقافية .

وحسبنا في هذا المقام انّ الآمدي حاول الموازنة بين ابي تمام والبحتري على الأساس الثاني فتعذر عليه حتى اعترف بالفشل . ومما يميز كتابنا أيضاً انّ مؤلفيه لا يرسفان في قيود التعصب لشخصية معينة ، وان كانا شديدَي الايمان بالفكرة التي يدور الكتاب حولها فان ذلك لا يمنعهما من إعطاء المحدثين حقهم كلما اقتضى المقام والدراسة المستفيضة .

---

(١) لقد ذكر المرزباني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ في مقدمة «الموشح» انه أتى بكثير من سرقات معاني الشعر في كتاب آخر له اسمه «كتاب الشعر» .

(٢) لقد ذكر صاحب المثل السائر ٢٠٩ — ٢١٠ كتاباً باسم «مقدمة ابن افلح البغدادي» الذي ذهب الى ان المعاني المبتدعة ليس للعرب منها شيء وانما اختص بها المحدثون . فالبغدادي اذن يمثل النقيض لرأي الخالديين الا ان رأيه مردود بالاجماع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

منهج الكتاب :

أما منهج الكتاب فهو في غاية البساطة لا يعدو عرض قطعات مختارة من شعر المتقدمين والمخضرمين انما يتخللها ايضاحات لبعض النقط الغامضة وتنبيهات على فوائد لا تخلو من الأهمية مع ايراد الأشباه والنظائر ، كما عنّت ، للمعاني التي تضمنتها تلك القطعات المختارة وهـذه الأشباه والنظائر ، التي هي الميزة الكبرى للكتاب ، لا تقتصر على كلام المتقدمين او المخضرمين فحسب بل تشمل المحدثين حتى المعاصرين أيضاً[1] وبذلك يتسنى للقارئ ان يدرك فضل السبق الذي كان للطائفة الأولى مع تقدير مدى التقصير او البراعة في الأخذ التي امتازت بها الطائفة الثانية فينصف الطائفتين كل واحدة منهما من الأخرى في وقت واحد بناء على شواهد موضوعة بعضها الى بعض في نسق واحد .

والكتاب خلو من اية محاولة للتبويب او تيسير الاطلاع للناظر فيه كما أخذ عليه ذلك صاحبُ الحماسة البصرية فقال : « ولم يقيدا (الخالديان) الكتاب بترجمة أبواب فعدت فرائده متبددة الانتظام مستصعبة على الحفظ والافهام » [نسخة الدار رقم أدب ٥٣٠ ص ٣] ولم يلتزم المؤلّفان ، كما جاء في المقدمة ، حتى بجمع النظائر كلها في موضع واحد ، بل فعلاً ذكرا نظائر معنى واحد في مواضع مختلفة . هذا وقد تكرر في الكتاب ما يفيد أنهما انما قصدا ذكر ما كان نادراً متجنبَين الاكثار مما هو شائع بين الناس ، وقد نفيا صراحة كل ادعاء باستقصاء النظائر بقولهما في آخر الكتاب : « ولعلّ آخَر ممن يتصفحه « الكتاب » يعرف النظير لشيء مما ذكرناه وهو لا يعرف غيره فيشنع علينا ويقول تركوا نظائر ولم نشرط أنّا نأتي بجميع النظائر ولعلنا أعرف بما خرّجه

(١) انظر قول الخالديَين « قصدنا ان نعدّد في هذا الكتاب قطعة في كل نوع من أنواع الشعر» وأيضاً « انا شرطنا ان لا نقدم في هذا الكتاب الا أشعار المتقدمين ثم نأتي بعد ذلك بالنظائر للمحدثين والمتقدمين » — المغربية ص ١٢٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الزاري علينا منه الاّ انا تركناه لمعنى ويجوز ان لا نعرفه لأنّا لم نُحِط بجميع العلم ، والشعرُ أكثر مما يحصى والغرض الذي ذكرناه وأردناه من التنبيه على محاسنهم قد بلغناه ....» وما من شك انّ منهج الكتاب ان دلّ على شيء فهو شدة تركيز الاهتمام بهذا الغرض الذي تناولاه بالتفصيل في المقدمة كما مرّ .

ويتّسم كتابنا على العموم بطابع التأليف المحض كما يتجلّى ذلك في أبيات أو قطعات من الشعر تكررت باختلاف في الرواية تارة وباختلاف في نسبتها الى قائليها تارة اخرى وباهمال نسبتها في موضع والنص عليها في موضع آخر تارة أخرى ولعلّ ذكر نظائر معنى واحد في مواضع متعددة أيضاً يرجع بعض الشيء الى هذا السبب ، وفي مواضع من الكتاب نتبيّن أيضاً توافق بضع قطعات متوالية لما ورد في المفضليات والبيان والتبيين للجاحظ مثلاً كما أننا نلاحظ في أوّل الكتاب مقتطفات متوالية من كلام شاعر بعينه كأنّ المؤلفَين تناولا ديواناً اثر ديوان ، على كل حال فما لا شك فيه انّ الخالديَين انما جمعا من المعارف المتداولة في عصرهما وان لم يذكرا غير كتاب البديع لابن المعتز وصاحب المنطق والحاتمي وابن قتيبة فانهما كفّرا عن ذلك باعترافهما الصريح في آخر الكتاب بكل تواضع :

« وجميع ما أثبتناه فاختيار من أشعارهم المشهورة والمجهولة وما لنا الاّ الجمع والتأليف ، ولعلّ غيرنا ممن يقرأ هذا الكتاب يرذل شيئاً [مما] اخترناه ويهجن شعراً [شيئاً] نقلناه وهذا غير مزرٍ بنا ولا ناقص لنا لأن لكلّ انسان اختيارا ....»

وخلاصة القول انّ الكتاب ليس مجموع شعر القبائل ولا مجموع قصائد طوال ولا مجموع قطعات مختارة مبوّبة على طراز حماستي ابي تمام والبحتري ، بل هو مجموع قطعات من شعر المتقدمين والمخضرمين ونظائرها من شعرهم هم والمحدثين ، بما فيهم المعاصرون ، مع ملاحظة ان تلك القطعات اختيرت ورتبت ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من غير تبويب ، لابراز فكرة معينة ، فكتابنا اذاً يختلف أيضاً عن كتاب الزهرة لأبي بكر محمد بن أبي سليمان داؤد الاصبهاني (— ٢٩٧) الذي هو مجموع أبيات من كلام المتقدمين والمحدثين حول موضوع واحد أي الحُبّ . وقد قال الدكتور نيكل في تقدمته لكتاب الزهرة انه يمثل همزة الوصل بين الحماستين وكتاب الأغاني ولعلّ كتابنا هذا ، بما يحتوي عليه من أخبار الشعراء (انظر مثلاً اخبار القتال الكلابي وسحيم بن عبد بني الحسحاس وابن الدمينة وابي حية النميري) وآراء أدبية كثيرة متناثرة ، اقوى شبهاً بكتاب الأغاني ولا يخفى ان الكتابين صدرا في عصر واحد ، عصر الوزير المهلبي وسيف الدولة . ومع انّ ابا هلال العسكري ، مثله كمثل كثيرين آخرين ، يتعرض كثيراً لسرقات الشعراء وتناولهم لمعنى واحد الاّ انّ كتابه « ديوان المعاني » لا يخرج عن نطاق كتب الحماسة من حيث البنية . أفلا يحق لنا اذن القولُ بأنّ كتابنا فريد في بابه ، لم نعرف مؤلفاً خاصاً بتلك النظرية العامة التي هي مدار « الأشباه والنظائر » مع انّ كتباً كثيرة تناولت موضوع السرقات بوجه عام قبله وبعده . هذا فضلاً عن انه يحفظ لنا من غرر الشعر قدراً لا يستهان به خلت منه المصادر الأخرى التي بأيدينا .

من الذي قدّم له الكتاب ؟

لم يطلعنا الخالديان على اسم ذلك الأمير المكلف بالمحدثين الذي حاولا بتأليفهما هذا الكتاب أن يخدماه ويذكّراه بفضل المتقدمين والمخضرمين ، ويرجح عند الرجوع الى ما وصل الينا عن حياة المؤلفَين وصلاتهما بكبار رجال العصر (انظر مقالنا السابق) انّ ذلك الأمير اما ان يكون سيف الدولة أو الوزير المهلبي فالأمر ينحصر بينهما الاّ انه ورد في الكتاب ذكر لسيف الدولة بطريقة تدلّ على انه غير الذي قدّم له الكتاب بل وان الخالديّين ربما كانا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قد اعتزلا خدمته (على حد مغاضبة ، كما يقول ابو العلاء المعرّي) وقت تأليف هذا الكتاب ، فانهما يقولان في معرض ايراد الأبيات في وصف القلعة :

« ولنا في صفة القلعة أيضاً قصيدة انفذناها الى الأمير سيف الدولة [رضي الله عنه] الى الشام ثم يقولان : « ولنا اليه [رحمه الله] من قصيدة أخرى في هذا المعنى أنفذناها اليه » (المغربية بالدار ص ٢٦٤ والابيات من القصيدتين للخالديّين في النويري ١/٤٠٤ — ٤٠٥) .

لعلّ كلمات الدعاء [رضي الله عنه] و [رحمه الله] من اقحام الناسخ في عهد متأخر فانها لم ترد في الموضعين من النسختين الأخريين بالدار . وعلى هذا فالاشارة الى « الأمير سيف الدولة » لاتليق ابداً بمكانة من يُمتّ اليه المؤلّفان بالخدمة ، ولا سيما اذا عرفنا ان الخالديّين ، ما داما في خدمة سيف الدولة ، كانا يذكرانه بـ « مولانا أبده الله » و « مولانا أدام الله تأييده » (انظر الصبح المنبي ، على هامش شرح العكبري ـ الشرفية ١٣٠٨ هـ ـ ١/١٧٣) وهذا هو ما يقتضيه العرف والتقاليد من غير شك كما جرى عليه الخالديان في مخاطبة الأمير الذي لم يسمياه في المقدمة .

ثم يلاحظ انّ الخالديّين لم يذكرا المتنبي ولو مرة واحدة حينما خصّا ابا تمام والبحتري بالذكر عشرات المرّات . هذا على الرغم من أنهما قد وعدا في المقدّمة بعدم اخلاء الكتاب « من غرر ما رواياه للمحدثين » وفعلاً قد أورد لعدد غير قليل من تلك الطبقة بما فيها المعاصرون ، أضف الى ذلك انّ الخالديّين عاشرا المتنبي وعرفاه عن قرب وتناقشا معه أيام صلته بسيف الدولة (أي من ٣٣٧ الى ٣٤٦ هـ) ثم ما زالا يتتبعان أخباره ويستكتبان تفاصيل اغتياله (انظر الصبح المنبي ١/٢٢٨) فيما بعد . أفلا يجدر بنا اذن ان نتساءل : هل يمكن لأحد أن يعمد الى الموازنة بين المتقدمين والمحدثين فيسقط المتنبي من اعتباره ويذكر الصنوبري والنوبختي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مثلاً ؟ انما يغلب على الظن ان اهمال المتنبي أمر متعمد ولعلّ السبب في ذلك واضح اي ما هو معروف من كراهية الوزير المهلبي له . لقد كان الوزير المهلبي جاوز حد التعصب على المتنبي في النقد العلمي حتى انه كان يعاديه عداءً شخصياً ناشئاً ، في اغلب الظن ، من امتعاضه من كبرياء الشاعر ـ ذلك الامتعاض الذي دفعه الى تأليب أهل بغداد عليه حتى كان من الحاتمي ما كان . والحاتمي قد ذكره الخالديان في الكتاب كما سبقت الاشارة اليه .

لكن يجب ان اتعرض هنا لاحتمال آخر وهو ان يكون الكتاب قد ألّف قبل ان يلتحق الخالديان بسيف الدولة كما يؤيد ذلك انتفاء ذكر كثيرين آخرين من شعراء البلاط بحلب مع المتنبي الاّ انّ في هذه الصورة ايضاً لا يسعنا غير القول بأنه قدم للوزير المهلبي وذلك لأنّ وقت تأليف الكتاب لا بد وان يكون متأخراً عن سنة ٣٣٠ هـ وهي السنة التي فيها خلع المتقي لقب « سيف الدولة » على عليّ بن عبد الله بن حمدان (كذا في النجوم الزاهرة) ولم نعرف أحداً ، ما عدا سيف الدولة ، انقطع اليه الخالديان انقطاعهما الى الوزير المهلبي لا قبل سفرهما الى الشام ولا بعد رجوعهما من هناك . هذا مع الاعتراف بأن ما وصل الينا عن حياة الخالديّين نزر يسير لا يشفي الغليل .

نسخ الكتاب :

لقد اعتمدنا في النشر على ثلاث نسخ وهي كالآتي :

(الأولى) المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٧٠٩ أدب في ١٩٦ ورقة مكتوبة على الجانبين ، بالخط المغربي ، مسطرتها ١٦½ سم × ١١ سم ، ٢١ سطرا في الصفحة ، كتابتها لا بأس بها الا ان الناسخ ربما لم يكن واثقاً بصحة قراءته لبعض الكلمات فتركها غامضة ، ويظهر انه بدأ ينسخ على مهل ثم أسرع في النصف الأخير حيث جاء الاهتمام بالشكل أقلّ مما سبق ، وقد جرى عليها قلم آخر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فصحّح بعض تصحيفاتها مع آثار الحك في كثير من المواضع ، وبما ان الورقة الأولى منها قد التصقت بالجلد ، لم نتمكن من قراءة ما جاء على الصفحة الأولى من العنوان والكتابات الأخرى وقد ثبت بآخرها ما يلي :

« قال كاتب الأصل ، المنقول منه هذا ، كتبه العبد الفقير الى رحمة ربه ودود بن ابي الفضل الكردي حامداً لله على نعمه ومصلياً على محمد نبيه الكريم وعلى آله وافق الفراغ منه بكرة الثلثاء سابع ذي القعدة من سنة ثلاث وستمائة ه وقد وافق الفراغ من هذه النسخة المباركة ظهر يوم الأحد سادس ربيع الثاني من عام تسعة وثلثمائة وألف على يد كاتبه العبد الفقير المضطر الى رحمة ربه القدير عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللمودي الحروري الحسني غفر الله له ولوالديه ولمشايخه والمسلمين والمسلمات ، الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين وقد نقلتها من نسخة سقيمة كثيرة التصحيف والتحريف والمحو مع قدمها يسر الله لناسخه تصحيحها عليها آمين ه ... »

وقد ابقت الحوادث والأيام على النسخة الأُمّ بخط مودود بن أبي الفضل الكردي فهي لا تزال محفوظة بخزانة عاشر افندي باستانبول برقم ٩١٧ . ولقد كان سروري بالغاً حينما انبئت ان الادارة الثقافية بالجامعة العربية أحضرت ، مع ما أحضرته اخيراً من صور نفائس المخطوطات ، صورة مصغرة على Microfilm من تلك النسخة الأصلية ، فهرعت الى مقر الادارة بالقاهرة الا انني ، مع ما بذله المشرفون عليها من حفاوة وعناية ، لم أتمكن من الانتفاع بالصورة المشار اليها لأنّ الفيلم (رقم ٨٦٥) طلع مظلما الى درجة تجعل من العسير قراءتها . انما وقفت على أنّ النسخة في ٥٢٨ صفحة في كل صفحة ١٧ سطراً وخطها يماثل خطّ بنتها بالدار .

وهذه النسخة المغربية بالدار رمزنا اليها بحرف (م) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(الثانية) المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣٧ ادب ، مخطوطة بقلم معتاد ، في ١٥١ ورقة ، مسطرتها ٢١½ سم × ١٠ سم ، ٢٧ سطراً في الصفحة ، كانت الورقة الأولى منها قد ضاعت فسدّ النقص نقلاً عن النسخة الآتي ذكرها وقد ثبت عليها « مشترى من قومسيون حصر الأملاك بالضبطية ومضاف في ٢٣ يونيه سنة ٨٣ » .

وجاء بآخرها ما يلي :

« اتم كتابته العبد المفتقر الحسين بن المصطفى الحلبي .

الجهالى الحسيني في قصبة فالنج في الثالث عشر من رجب .

المرجب سنة ١٠٨٤ والحمد لله وصلى الله على من لا نبي بعده وسلم » .

وهي من حيث المجموع نسخة جيدة مستقلة تماماً عن المغربية السالفة الذكر وقد رمزنا اليها بحرف (ا) .

(الثالثة) المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٧ أدب ، يظهر أنها نسخة حديثة جداً ، مخطوطة بقلم معتاد ، في ٢١٤ ورقة ، مسطرتها ١٩½ سم × ١٠½ ، ٢١ سطراً في الصفحة ، وقد ثبت عليها أيضاً « مشترى من قومسيون حصر الأملاك بالضبطية ومضاف في ٢٣ يونيه سنة ٨٣ » وهي من كتب الفقير الى الله تعالى محمود سامي الشهير بالبارودي » (بل ربما استنسخه البارودي لنفسه في حياته) ولم يثبت بآخرها غير جملة واحدة :

« قد قوبل على أصله وصحح حسب الطاقة »

ومع انا لم نعرف شيئاً عن الأصل المنقول منه الا انه يتأكد لدينا بعد المقابلة انّ هذه النسخة ايضاً مستقلة عن النسختين اللتين سبق ذكرهما وتمتاز بكثرة التصرفات من المصحح بغية الاصلاح في مواضع التصحيف او الشك وقد رمزنا اليها بحرف (ب) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومما يجدر بالملاحظة (اولاً) ان النسخة (ا) غير مجزّأة بل هي كلها جزء واحد في حين ان النسخة (ب) مجزأة الى جزئين الاّ انه قد نص فيها على انتهاء الجزء الأول وابتداء الجزء الثاني في موضعين : اولاً بعد أبيات عمارة بن عقيل (المغربية ص ١٣٦) وثانياً قبل ذكر المرقش الأكبر (م ٢١١) وقد تنبه الناسخ بل المصحح الى هذا فأثبت بالهامش في الموضع الأول «هكذا في الأصل مع انّ اول الجزء الثاني سيأتي فلعله أراد أولاً أن يجعل هنا آخر الجزء الأول ثم بدا له فزاد عليه وجعله بعدُ الاّ انه لم ينبّه على ذلك» اما النسخة (م) فقد ثبت بهامشها ما يؤكد انتهاء الجزء الأول في الموضع الأول دون أن يذكر شيء في الموضع الثاني . لعلّ النساخ هم الذين أبقوا الكتاب جزءاً واحداً او قسموه الى جزئين متكافئين او غير متكافئين حسب ما بدا لهم دون أن يكون ذلك من عمل المؤلفَين ، يؤيد هذا الرأي انّ الكلام جارٍ غير منته في الموضع الأول بحيث يبعد ان يكون انتهاء الجزء هناك .

(ثانياً) تكفي مقابلة الصفحة الأولى من النسختين (م و ب) (وهذه الصفحة تنقص النسخة ا) للدلالة على أنهما مختلفتان .

(ثالثاً) كثير من البياضات والسقطات التي وردت في (م) لا توجد في النسختين الأخريين .

(رابعاً) النسخة (ب) تورد بعض زيادات كل من النسختين الأخريين الاّ انها لا توافق اية واحدة منهما بالاستمرار وهكذا الحال فيما يتعلق بالاختلاف في الرواية عامة .

فهذه هي النسخ التي اعتمدنا عليها وهاك فيما يلي النسخ التي عرفنا بوجودها الاّ انا لم نتمكن من الافادة منها :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(١) يخبرني شيخي العلامة عبد العزيز الميمني انّ هناك نسخة من الكتاب بكتبخانه اسعد افندي من مكاتب السليمانية في استنبول نسخت سنة ١٠٨٣ هـ برقم ٢٩٣٣ .

(٢) كتب القس سليمان صائغ في تاريخ الموصل الجزء الثاني (بيروت ١٩٢٨ م) ص ٦٢ ان هناك نسخة من الكتاب في مدرسة حسين باشا الجليلي في الموصل ولم أجد لها ذكراً في كتاب مخطوطات الموصل للدكتور داؤد بك آل الجلبي .

(٣) بالمكتبة التيمورية نسخة من الكتاب (الشعر ٢٦٢) الاّ أنها عديمة الجدوى لأنها منقولة من النسخة (ب) كما ثبت ذلك بآخرها .

(القاهرة) الدكتور محمد يوسف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net